



ريجيس بلاشير
فقيه مدرسة الاستشراق الفرنسية
(1900 – 1973)

بقلم : الشاذلي بويحيى

مات الاستاذ ريجيس بلاشير فخلت منه حلقات التدريس بجامعة الصربون
وجامعات المغرب العربي والمشرق وأفقرت محافل العلم من وجوده بينها
مرشدا ومحاضرا ومسيّرا لندواتها .

لقد فقدت منه الشخص المستقيم في طلعتة الحادّ في مجيآه الرصين في حركاته
المتشبّت في خطاه المتّزن في صوته وكلماته وهي خصال اتّصف بها أيضا
سلوكه في الحياة وكأنّها انعكست كلّها على منهجه في البحث العلمي فعُرف
عنه كذلك بالاستقامة والحدة والرصانة والتشبّت والاتّزان . وبذلك صار

الأستاذ بلاشير قدوة لطلبته في فرنسا والمشرق والمغرب منتهى آمالهم النسيج على منواله والسير في خطاه ونيل رضاه ولم يكن ذلك عليهم يسيرا .

ذلك ان ذهنه النقدي كان دوما يقظا فهو إن قال نعم فليفسح أمامه طريق الملاحظة أو المنازعة بل والمعارضة غالبا .

بيد أنه كان يحسن الإصغاء من وراء صفيحة وجهه صلد ذي عينين منذ زمان جامدتين لكنه أثناء ذلك الاستماع كانت تتم في باطنه المغلق غربلة ما يسرع في فحصه بحذق له خاص ينيره له فيتسنى بذلك لفكره الحصيف تقويم ماهيته الحقيقية بعد الوقوف على كنهه . غير أن حذر هذا حذر منهجي يوقفه متى بلغ بفضل اليقين . وقد يكون ذلك في امتحانه الرجال فتصبح عندئذ ثقته صداقة . وقد كانت له صداقات - على قلتها - عميقة عمق ما كان له من انكماش تخاله إذا ما لقيته جفاء بل عداا أحيانا .

بهذه الشخصية القويّة وهذا المنهج الحديديّ القويم مع مقدرة على العمل عجيبة أكبّ ريجيس بلاشير حياته كلّها على بحث دائب يهدف به إلى الكشف عن أسرار لغة العرب وأغوار الروح والعقليّة العربيّة وخبايا الحضارة والمفاهيم الإسلاميّة انطلاقا من النصوص دون شهادات الرجال وهو في ذلك على خلاف أستاذه لويس ماسينيون لا يطعن إلى الشهادة بل يتّهمها ويشكّ في أمانتها شكّا ملحا لها لهلالتها أو اضطرابها أو مخالفة بعضها لبعض إيمانا منه بتقلّب أهواء الرجال وانسياقا مع واقعيّة ذهنه المفطور على حذر الفلاح سليقة وراثيّة والناشئة على سبر النصوص ونقدها ورخصها من زائف الأقاويل الخاوية الخلاّبة . فلم يكن يستسلم إلى الأخبار لطرافتها ولا إلى الأشعار لبداعتها ولا إلى جوامع الكلم لبلاغتها . أثر التروّي على التملّي والمعرفة على المتعة فكان رجل علم وبحث أكثر منه رجل أدب وفنّ على أن الادب والفنّ مادّة عمله ومنجمه الذي منه يستخرج معدن علمه ولغة البلاغ والفصحاء ميدانه الذي يرتع فيه لحصاده الغرض الخصب .

وانسجمت صفات الرجل فيه والعالم والمعلّم فكان أبرز ما يمتاز به كرجل وعالم وأستاذ شدّته وصلابته وقوّة جأشه . كان صافي العارضة متين الطريقة عسير المحاسبة لنفسه وللناس شديداً على تلاميذه ليس للرأفة ولا للحنان ولا العاطفة إلى قلبه سبيل . ذلك أنه كان يدين بكرامة الإنسان بدل الرحمة به ولعلّ إعراضه عن الدّين ناشىء عمّا تمتاز به الأديان — أو بعضها — من العناية بالضعيف الحقير وما قد يتّصف به المسكين من المسكنة والتّفقّه . فإذا ديسّت هذه الكرامة وقف إزاء الحق وقفته إزاء الحقيقة وقفةً صريحة باسلة رائعة لا مراوغة فيها ولا مراة . فكان مع المغرب في محنته والفيتنام في مقاومته وفلسطين في مأساتها والعروبة في نضالها من أجل حقوقها وكرامتها .

كذا كان ريجيس بلاشير ركنا متينا من مدرسة الاستشراق الفرنسيّة وعلمنا شاهداً في ميدان البحث العلمي وأستاذاً إماماً يثّ من روحه في نخبة من الباحثين والعلماء شأنهم الدّأب في العمل وطريقتهم الضبط والتثبّت وبقظة الذهن والاقتصاد في الحكم . خصال هي ضمان الفلاح في عالم العلم الصحيح وهي شعار الجامعة التونسيّة الفتية هي بها مدينة له بنصيب وافر . بذلك نشهد جزاء وفاء لريجيس بلاشير .

ولد ريجيس بلاشير يوم 30 جوان سنة 1900 بمونروج (Montrouge) من ضواحي باريس وتعلّم بالمدرسة الثانويّة (Lycée) بالدار البيضاء في المغرب الأقصى ثم بكلية الآداب من جامعة الجزائر . وكان محرراً على التبريز (Agrégation) والدكتورا في الآداب .

واشتغل بتدريس اللّغة والآداب العربيّة حياته كلّها . فكان أستاذاً بالرباط عاصمة المغرب الأقصى من سنة 1922 إلى سنة 1929 ومدير دراسات (Directeur d'Etudes) في معهد الدراسات العليا المغربي بالرباط من سنة 1930 إلى سنة 1935 وأستاذاً بالمدرسة القوميّة للّغات الشّرقية الحيّة بباريس (Ecole Nationale des Langues Orientales Vivantes) من سنة 1935 إلى سنة 1950 ثم بكلية الآداب من جامعة باريس من سنة 1950 إلى سنة 1970 .

وترأس معهد الدراسات الإسلامية (Institut d'Etudes Islamiques) بباريس من سنة 1956 إلى سنة 1965 .

وكان عضوا في المعهد ، معهد فرنسا (Membre de l'Institut) ورئيسا ثم نائب رئيس لجمعية تقدم الدراسات الإسلامية (Association pour l'Avancement des Etudes Islamiques) منذ سنة 1957 .

وهو الذي أدخل تعليم العربية بالمدارس الثانوية بفرنسا إثر الحرب العالمية الثانية وقد كان متفقدًا عامًا لتعليم العربية بفرنسا وبالمدارس الفرنسية خارج التراب الفرنسي .

وكان كثير التنقل بين أقطار المشرق والمغرب للتفقد والتدريس وإدارة الندوات العلمية وإلقاء المحاضرات .

مات ريجيس بلاشير بمنزله بباريس يوم الثلاثاء 7 أوت سنة 1973 . من أشهر مؤلفاته وهي كلها بالفرنسية أطروحته عن أبي الطيب المتنبي : Un poète arabe du 4^e siècle de l'Hégire (10^e s. de J.-G.) : al-Motanabbi) وترجمة القرآن مع دراسة تمهيدية ضافية تقع في مجلد كامل منفصل . وتاريخ الأدب العربي في ثلاثة أجزاء Histoire de la littérature arabe لم يتمه . وكتاب في النحو العربي Eléments de l'Arabe classique و آخر : Grammaire de l'Arabe Classique بالمشاركة مع قودفروا دي منبين Gandefroy Demonbynes وشرع في تأليف قاموس مطول عربي فرنسي إنكليزي لم يتمه . وله كتاب «مشكل محمد» Le Problème de Mahomet وكتاب «في خطي محمد» Dans les pas de Mahomet وهو تقديم لصور فنية مختارة لأماكن وتحف لها صلة بالسيرة المحمدية للتعريف بها وللعبرة . وعدد كبير من الفصول والدراسات في شتى المجالات خاصة منها Arabica و Studia Islamica ودائرة المعارف الإسلامية Encyclopédie de l'Islam في طبعها الجديدة .